الكتاب المقدس والثقافة

بول ج. هايبرت

هل يمكن أن يصبح فلاح مسلم أمى نصرانياً بعد أن يستمع إلى الكتاب مرة واحدة فقط؟ وإن كان الأمر كذلك فما الذى نعنيه بتنصره؟ تصور للحظة واحدة فلاحًا باكستانياً عائدًا إلى قريته بعد يوم من العمل الشاق فى الحقول، وحيث إن زوجته لا تزال تعد له وجبة العشاء فإنه يخرج للتجول فى ساحة القرية لتمضية الوقت، وهناك يلاحظ شخصًا غريبًا قد أحاط به العديد من الفضوليين، وبما أن الفلاح منهك وجائع فإنه يجلس ليستمع إلى ما يقوله الرجل ولمدة ساعة كاملة يستمع الفلاح إلى رسالة الرب ويحركه بعمق شىء جديد فى داخله، وبعد ذلك يسأل الفلاح الرجل الغريب عن الطريق الجديد، ومن ثم يحنى رأسه بحركة مفاجئة للرب الذى يقال إنه ظهر للناس بهيئة المسيح، ولا يفهم الفلاح الأمر تمامًا، فهو كمسلم يعرف أنه لا يوجد إلا رب واحد وعبادة غيره شرك. ولكن أيمكن أن يكون للرب ابن دون زوجة؟ إن هذا كله شىء غريب عليه، ويعود الرجل إلى بيته وأسئلة عديدة تجول فى رأسه، هل يمكنه الاستمرار بالذهاب إلى المسجد للصلاة حيث إن ذلك المكان مكرس لعبادة رب واحد؟ هل يتوجب عليه إخبار عائلته بمعتقده الجديد؟ وكيف يمكنه معرفة المزيد عن يسوع فهو لا يستطيع قراءة الوريقات اللاتى أعطاه إياهن الرجل الغريب كما لا يوجد نصارى آخرون أقرب من مسيرة يوم كامل من قريته؟ من يعرف متى سيعود هذا الغريب مرة أخرى؟

المشكلة

هل يمكننا تقديم **الكتاب المقدس** إلى المسلمين فى الجزيرة العربية أو الباكستان أو الهند أو أندونيسيا؟ ففى السنوات الأخيرة واجهتنا وبصورة مفاجئة العديد من المصطلحات والآراء والنظريات الجديدة التى كان من المفترض أن تجيب على هذا السؤال، مثل ترجمات حيوية مطابقة للإنجيل، ونمو الكنيسة، وعلم التنصير، ووسائل الاتصال مع الثقافات كافة، ومعطيات **الكتاب المقدس**، وكثير غيرها، فما الذى يمكننا أن نفعله تجاه هذا كله؟

فى الحقيقة لم تكن المشاكل التى واجهناها ولا الرؤيا التى اقترحتها نظرية التنصير الحديثة جديدة علينا، بل إن الكثير منها موجود فى الفقرة الخامسة عشر من قرارات **المؤتمر الكنسى الأول**. فهذا المؤتمر كان فى الواقع مؤتمر تنصير تمت

الدعوة إلى عقده لأن الكنيسة كانت ناجحة جداً فى زرع نفسها فى أرض الثقافات الأخرى، فمنذ البداية كسب النصارى عدداً لا بأس به من اليهود إلى صفوفهم، ولا ريب أنه كان يوجد بين هؤلاء بعض الخلافات، حيث إن عدداً من اليهود تبنى العادات اليونانية، كما كان بينهم بعض الوثنيين الذين أصبحوا يهوداً كى يتمكنوا من الانضمام إلى الكنيسة، ولكنهم لم يتخلوا تماماً عن طرقهم الوثنية، لكن الجميع كانوا وبصورة عامة متفقين تماماً على ماهية كون المرء نصرانياً.

واستمر ذلك حتى بدأ الرسول المتطرف بولس بالوعظ إلى الوثنيين قائلا لهم إنه لا يتوجب أن يصبحوا يهوداً لكى يحق لهم الانضمام إلى الكنيسة وليصبحوا من أتباع المسيح، ولهذا استمر هؤلاء يأكلون لحم الخنزير، وحافظوا على لباسهم اليونانى المحتشم، وفوق هذا كله لم يحفظوا البت ورفضوا الختان وهذان هما الرمزان الرئيسيان لعهد الرب مع شعبه. فإذا كان فى مقدورهم أن يفعلوا ذلك ويحافظوا فى نفس الوقت على نصرانيتهم فما الذى يعنيه أن يكون المرء نصرانياً؟

وهكذا عقد **المؤتمر الكنسى الأول** لاتخاذ قرار حول التساؤلات فى ماهية **الكتاب المقدس**، أى أخبار البشارة بالنجاة وعلاقة هذا بثقافات الشعوب؟ فهل يجب على الناس لكى يصبحوا نصارى أن يغيروا لباسهم وطعامهم وتقاليد زواجهم وعلاقاتهم وأفكارهم عن عبادة الرب وعبادة الأوثان، أم ماذا؟

وتنبع ثلاثة مبادئ أساسية حول العلاقة بين **الكتاب المقدس** والثقافة من النص نفسه:

١- الكتاب المقدس فى مواجهة الثقافة

لا تثار قضية الثقافة ما دامت الكنيسة ضمن ثقافة شعب واحد، فالنصارى يستطيعون التعبير عن معتقداتهم باستخدامهم لغتهم ورموزهم الثقافية بدون أن يفكروا كيف صاغت هذه اللغة والثقافة معتقداتهم، ولا يتم الاعتراض إلا على تلك المجالات فى الثقافة التى تتعارض بصورة مباشرة مع **الكتاب المقدس**[1].

ولكن عندما تحركت الكنيسة باتجاه ثقافات أخرى اضطرت إلى مواجهة مسألة الثقافة، فقد تطلب هذا التطور ترجمة **الكتاب المقدس** إلى لغات جديدة، ومن المعلوم

---

(١) على الرغم من أن الطبيعة المحددة للكتاب المقدس لم يجر توضيحها لأنها خارج نطاق هذا البحث إلا أنه من المسلم به وجود وحى الرب يعلو على الثقافات البشرية كلها وهذا الوحى قد تم تدوينه فى الإنجيل. أما ما يشكل الجوهر الأساسى للكتاب المقدس ومضمون الخلاص فيجب مناقشتها فى بحث آخر.

أن اللغات كثيراً ما تختلف فى صياغتها للأمور، فعلى سبيل المثال يوجد فى اللغة الإنجليزية ثلاث صيغ للفعل: الماضى والمضارع والمستقبل، ويبدو لنا أن هذه هى الاحتمالات الزمنية المنطقية، ولكن قد يوجد فى لغة أخرى صيغتان فقط هما الماضى والمضارع، تفتقر إلى المستقبل لأنه غير موجود بل هو فى الحقيقة توقع للمضارع، والمتكلم فى تلك اللغة لا يقول «سأذهب للمدينة غداً» وكأن المستقبل موجود ومؤكد بل يقول «إنى أعتزم الذهاب للمدينة غداً» وهذه جملة تعبر عن الحاضر الموجود، كما توجد فى بعض اللغات أربع صيغ للفعل، وحتى كلمة واحدة مثل كلمة «الرب» فإنها لا تعطى نفس المعنى فى لغات مختلفة، فكلمة «الرب» فى اللغة الإنجليزية تعنى كائناً متميزاً عن بقية المخلوقات له حياة تختلف عن حياة الإنسان والحيوان والنبات، وفى لغة التيليجو فى جنوب الهند يوجد شكل واحد فقط للحياة وهكذا تتساوى حياة الرب مع حياة الإنسان أو الحيوان أو النبات، ولا توجد كلمة فى هذه اللغة تعنى الرب الذى يتميز عن بقية الخلق، والسؤال الذى نطرحه هو، ما هى الكلمة التى نستخدمها لتعنى الرب عندما نترجم **الإنجيل** إلى هذه اللغة؟

واللغة هى فقط بداية مشكلة الترجمة، فهى تعكس افتراضات أكثر عمقاً عن الحقيقة وعن النظرة العالمية الشاملة التى تشكل أساس الثقافة، وعندما تدخل النصرانية أرض ثقافة أخرى لا يجب أن تترجم إلى لغة أخرى فقط بل إلى رموز وأعراف هذه الثقافة وأنماطها الفكرية، ولكن ماذا نعنى بكلمة «الثقافة»؟ لقد استخدمت الكلمة فى الأصل لتصف سلوك النخبة الممتازة، أى الأغنياء والمثقفين والمحنكين، ولكن علماء الأجناس البشرية وسعوا مدلول الكلمة ليشمل الناس كافة فعنوا بكلمة «ثقافة» نظاماً موحداً من أنماط السلوك المكتسب، والخواص الفكرية والإنتاجية لمجتمع معين»[1].

وتوجد عدة أقسام فى هذا التعريف:

أولا: لاحظ أنه يشير إلى أنماط السلوك المكتسب، أى إلى الأشكال الثقافية التى

---

(١) من الواضح أن هذا هو تعريف سطحى للثقافة. فمن ناحية يتفادى التعريف موقفاً سلوكياً متطرفاً من خلال تضمينه «الأفكار» ومن ناحية أخرى يتفادى موقفاً مادياً خالصاً عندما يشير إلى أن علماء الأجناس البشرية يستنتجون فهمهم للخرائط الثقافية من خلال مراقبة السلوك، أى أنه يوجد ارتباط بين الثقافة والسلوك والكلمة الرئيسية هنا هى الأنماط حيث إنه لا توجد فكرة أو سلوك أو شىء يشكل الثقافة فى حد ذاته. بل إننا نستكشف النمط الذى يقف وراء المجاميع منها. وبهذا المعنى يميل هذا التعريف للثقافة إلى أن يكون أكثر معاصرة ومستنداً على المجاميع الثقافية.

تمتد من المصافحة كتقليد للتحية (أو البصق كل على صدر الآخر كما يتم فى إحدى قبائل أمريكا الجنوبية) إلى أنماط التنظيم العائلى، والمؤسسات الدولية المعقدة.

ثانيًا: لاحظ أن هذه الأشكال ترتبط كلها بمعان، فالعلم هو ليس فقط قطعة قماش مصممة على شكل معين بل هو رمز الدولة. وفى النهاية لاحظ أن التعريف يشير إلى التوحيد أو الاندماج. فالثقافة ليست تركيبة مفككة من الأشكال بل أن هذه الأشكال ترتبط الواحدة منها بالأخرى وتنسجم مع مجموعة من الافتراضات الأساسية عن وضع العالم، فهذا الدمج بين السمات الثقافية الشاملة هو الذى يجعل تغيير الثقافات صعبًا، فالأنماط لا يمكن حذفها دون أن يسبب ذلك تمزيقًا ثقافيًا من جهة وبدون إعادة تفسير الأنماط الجديدة من جهة أخرى.

والثقافات المختلفة لا تعطى ببساطة تصنيفًا مختلفًا للعالم نفسه بل تخلق عوالم مختلفة، وهذا الاختلاف يسبب عدة مشاكل أساسية تواجه إرساليات التنصير العاملة بين مختلف الثقافات، ونحن ندرك جميعًا الصدمة الحضارية التى نواجهها عندما نتحرك فى وسط ثقافى جديد. فهذا لا ينشأ عن الأوساخ أو الفقر حيث إن أولئك القادمين إلى الغرب يواجهون نفس الصدمة الناشئة عن حقيقة كوننا جاهلين تمامًا للثقافة الجديدة، ولا نعرف كيف نتعامل معها، كما أننا ندرك سوء الفهم الثقافى الذى ينشأ عندما نسافر إلى الخارج، وعلى سبيل المثال تصورت بعض القبائل الإفريقية أن المنصرين هم سحرة لأن السحرة فقط يؤوون القطط والحيوانات الأليفة حيث يدخل هؤلاء السحرة داخلها فى الليل ويطوفون فى القرية «لجمع الأرواح» وأكلها، والمشكلة العميقة التى تنشأ عن الاختلافات الثقافية هى أن كل واحد منا فى الحقيقة قد تعلم أن طرقنا الثقافية للقيام بعمل ما هى: «الطرق الصحيحة» ولهذا السبب عندما نواجه ثقافات أخرى ننزع إلى التفكير بأنها «بدائية» أو «متحضرة»، وبطريقة أخرى اعتبرنا استخدام الشوك والملاعق لتناول الطعام أكثر تمدنا من استخدام أصابع اليد، علمًا بأن هذه الشوك والملاعق قد دخلت فى أفواه عدد كبير من الناس.

ولكن المشكلة العميقة التى يخلقها التباين الثقافى بالنسبة لإرساليات التنصير هى الحقيقة بأن أى رسالة يجب أن تترجم إلى أنماط جديدة من التفكير، وإلى

أنماط ثقافية جديدة إذا أريد لهـا أن يتم استيعابها من قبل ثقافـة أخرى. والترجمة طبعًـا تغير المعنى حيث إنه من المستحيل التـرجمة من ثقافـة إلى أخرى بدون أن يحدث تغيير فى المعنى.

كيف نختبر إذًا المعنى الجديد الذى تحمله الرسـالة فى ثقافة أخرى كى نتأكد أنها قريبة من الأصـل قدر الإمكان؟ نحن لدينا ميل طبيـعى للبحث عن أنماط السلوك والأشكال الثقـافية المألوفة، مثل هـل يركع الرجل فى الصلاة، وهل يواظب على الذهاب إلى الكنيسـة؟ لكن هذه عبارة عن مـؤشرات ضعـيفة لما يجرى فـعلاً فى عقول الناس، فاكتشاف ما يفكر به الناس حقّاً يتطلب قدرًا كبيرًا من البحث الدقيق المبنى على المعلومـات التى تؤخذ من هؤلاء الناس أنفـسهم. وهنالك فـقط سوف نعرف ما إذا كـان الناس قد استوعـبوا لب **الكتاب المقدس**، ونتمكن من تصحيح سوء الفهم. فـالترجمة الثقـافية عملية مـستمرة ومتطورة للاتصـال والحصول على معلومات ومن ثم إعادة الاتصال مرة أخرى والحصول على معلومات جديدة.

وإذا كانت الثـقافة كلهـا نابعة من أفكارنا المكتـسبة وأنماط سلوكنا فـما هو إذًا **الكتاب المقدس** وكيف نفرق بينه وبين الثقافـة؟ إن هذا السؤال صعب حقّاً ويجب على المرء أن يواجهه فى كل مرة ننقل فيها **الكتاب المقدس** إلى بيئة ثقافية جديدة. أما البديل الآخر فهـو المساواة بين الاثنين أى الثقافة **والكتاب المقدس**، وأن نفرض على كافة المتنصـرين أن يصبحوا أمريـكيين أو إنجليز أو غير ذلك حـسب الانتماء الثقافى للمنصر نفسـه، وعلى أى حال علينا أن نتذكر بأنه لو توصل **المؤتمر الكنسى الأول** إلى مثل هذا القرار لوجب عـلينا جميعًا اليـوم أن نصبح يهودًا من أجل أن نصبح نصارى، ودعـونا نتساءل بصورة واقعـية: كم منا كان سيصـبح نصرانيّاً لو فرض عليه ذلك مع الأخـذ بنظر الاعتبار التغييـرات والقيم الثقافية التى يـستلزمها مثل هذا الشرط؟

لا بد لنا أن نعترف بوجود فارق بين **الكتاب المقدس** والثقافة، ورغم عدم سهولة التمييز بـينهما يجب علينا بهدي من **الروح المقدس** أن نفعل ذلك بصورة مـستمرة لأننا بعكس ذلك سوف ننزل من مستوى الكتاب المقدس إلى مستوى ثقافة معينة.

٢- الكتاب المقدس فى البيئة الثقافية

إن عملية التمييز بين **الكتاب المقدس** والثقافة هى عملية ليست قليلة الصعوبة، ولكن **المؤتمر التنصيرى الأول** وجد أن العلاقة بين **الكتاب المقدس** والثقافة أكثر تعقيدًا من ذلك، لقد اكتشف المؤتمرون أن عليهم استخدام صيغ ثقافية كى يتمكنوا من إيصال **الكتاب المقدس** والذى لا يمكن التفكير به أو التعبير عنه بمعزل عن الكلمة المسموعة والكتابة والمسرحية والطقوس والفنون، وكانت المسألة التى ناقشها المؤتمر هى ما إذا كانت التقاليد الثقافية للختان والمحافظة على السبت هى الطرق الوحيدة التى يمكن أن يعبر بها عن **الكتاب المقدس**، وكان الجواب وبصورة قاطعة «كلا». فقد قرر شيوخ الكنيسة أنه يمكن استخدام الصيغ الثقافية اليونانية والرومانية لإعلان ونشر **الكتاب المقدس** وبناء الكنيسة، وكانت المبررات التى قدموها هى أن الأنبياء قد قالوا بأنه سيأتى ذلك اليوم الذى «سوف يتجه فيه بقية البشر إلى الرب» وأن **الروح القدس** قد أعطيت إلى المتنصرين اليونان والرومان أيضًا، ويصاب المرء فى الواقع بالدهشة لحرية التعبير التامة تقريبًا والتى أتاحت الفرصة لظهور صيغ ثقافية نصرانية، فعلى المتحولين إلى النصرانية من أبناء الثقافات الأخرى أن يمتنعوا فقط عن تناول لحوم الحيوانات التى تقدم قرابينًا للأوثان وعن الدم والمنخنقة والزنا.

ومن الجلى فإن هذه الأمور ليست فى صميم **الكتاب المقدس** لكنها ممارسات كان أحد أسباب تحريمها كونها مسيئة للنصارى الذين كانوا من أصل يهودى[1]، ولكن ما العلاقة بين تطبيق ما أوردناه وبين الفلاح الأمى؟ ما هى الصيغ الثقافية

---

(١) يجب أن يكون واضحًا الآن وعلى الأقل من خلال النموذج الذى قدمت أن المرء لا يمكن أن يتعامل مع أى سمة ثقافية دون أن يتعامل مع مضامينها اللاهوتية، وكما أشار مارشال ماكلوهان وآخرون غيره فنحن لا نستطيع أن نفرق بين الشكل والمعنى أو بين الواسطة والرسالة، فلكل واسطة أو نمط سلوكى غاية مركبة إضافة إلى الرسالة التى يحملها. وهذا هو إلى حد ما يعنيه وجود الكتاب المقدس فى داخل ثقافة ما. ولهذا السبب أعتقد أنه يجب علينا التحرك خارج نطاق الترجمة المقاربة الحيوية، وعلى الأقل عندما يتعلق الأمر بالممارسات الثقافية عدا اللغة والتى تميل إلى تفريق الشكل عن المعنى بصورة كاملة. إن دفع الترجمة المقاربة الحيوية أكثر مما يجب يعنى التغاضى عن الرسالة فى الوسط الذى تقوم فيه، وعن حقيقة أن الجيل الثانى والثالث من الطلبة فى الكنيسة الجديدة سوف يقرأ الإنجيل فى السنوات القادمة فى لغاته الأصلية ويتساءل لماذا تبتعد ترجمات الإنجيل المتوفرة فى لغاتهم القومية عن النصوص الأصلية.

التى يمكنه استخدامها فى حياته النصرانية، وهل من اللائق أن يستمر فى رفع يديه والركوع عندما يصلى؟ هل يمكنه استخدام اصطلاح «الله» الذى يعنى الرب عندما يشير إلى رب **الإنجيل**، أو ما هو الاصطلاح الذى يمكنه أن يستخدمه؟ هل يمكنه استخدام لغة الأوردو للتعبير عن إيمانه، أو أن يستعمل الطبول وأساليب الغناء المحلية فى ترانيمه النصرانية؟ هل يستطيع الاجتماع مع أقرانه النصارى فى الجامع؟ هل يجب عليه أن يطلق زوجته الثانية والثالثة ويحولهن إلى عاهرات؟

من الواضح أنه يجب أن يحصل بعض التغيير فى سلوك النصرانى الجديد حيث يعبر عن نفسه أيضًا فى صيغ ثقافية، أى بحياة جديدة وبقلب جديد، ربما يستطيع الباكستانى المتنصر حديثًا أن يستخدم عددًا كبيرًا من صيغ ثقافته دون أن يتزعزع إيمانه، فهو يستطيع النوم فى سريره القديم ويأكل الأطعمة المعتادة وأن يصلى وهو جالس على الأرض، ويجب أن يعاد النظر من جديد فى صيغ أخرى كى تنقل الرسالة النصرانية مثلما قامت النصرانية الغربية بتكييف عيدى الفصح والميلاد، وكذلك بقدر ما يتعلق الأمر بالموضوع، تكييف تقليد إشبينات العرائس اللواتى كانت الغاية منهن أصلا تضليل الشياطين والعفاريت التى تأتى لاختطاف العروس، كذلك يجب على المتنصر الباكستانى أن يتخلى عن بعض صيغه الثقافية لأنها مرتبطة بشكل متين جداً بنظام دينه القديم ويؤدى الاستمرار عليها إلى تعريض الطبيعة الأساسية والخصوصية للرسالة النصرانية للخطر، وفى حالة مثل هذا المتنصر، ما الصيغ الثقافية التى يمكن استخدامها للتعبير عن الرسالة النصرانية، أى الصيغ التى يمكن أن يفهمها الناس من أجل أن يستوعبوا هذه الرسالة؟ ومن يقرر أى الصيغ الثقافية يمكن الاستمرار فى استخدامها وأيها يجب أن يعاد النظر فيها وأيها يجب رفضها؟ هل يقوم بذلك النصارى المحليون أم المنصرون الأجانب أم الوكالة أم الكنيسة الأمريكية؟ لقد دعى **المؤتمر التنصيرى الأول** كى يجيب بالتحديد على هذا النوع من الأسئلة؟

٣- علاقة الكتاب المقدس بالثقافة

صحيح أن الثقافة هى واسطة لنقل رسالة **الكتاب المقدس** إلى الناس، ولكن هنالك بعد آخر للعلاقة بين **الكتاب المقدس** والثقافة، فكما يدعو **الكتاب المقدس**

الناس إلى التوبة والندم وحياة جديدة كذلك يدعو فى نفس الوقت إلى أساليب جديدة للحياة وإلى نبذ الممارسات الثقافية والمؤسسات التى تعزز الخطيئة وتشجع عليها، فالتحريمات التى وردت فى «أعمال الرسل» لا تتعلق بالمعتقدات اللاهوتية بل بالصيغ الثقافية، **والكتاب المقدس** يتخذ دائمًا موقف الحكم الإلهى من الثقافات الدينية، فهو لا يتحدث فقط عن ولادة جديدة بل عن الاستقامة والمحبة، وعن عوائل متماسكة وأخوة متآلفة، كما يتحدث أيضًا ضد الظلم والجور والكراهية والطمع والأعمال اللاأخلاقية. وهنا يجب أن نقف بجانب أخينا الجديد من الباكستان ونعترف بكل تواضع أن ثقافتنا ليست نصرانية فهى يجب أيضًا أن تنضوى تحت ألوهية المسيح. **فالكتاب المقدس**، وليست الثقافة الغربية هى بشارة الرب إلى الجنس البشرى.

ونحن لم نجب حتى الآن عن سؤالنا الأساسى: هل يستطيع أمى مسلم أن يصبح نصرانياً حقاً بعد أن استمع إلى **الكتاب المقدس** مرة واحدة فقط؟ وإذا كان الجواب بالإيجاب فماذا يعنى هذا؟ إن هذا يعنى بالنسبة لنا قبول يسوع المسيح كرب ومخلص، ولكن ما الذى يجب أن يعنيه هذا بالنسبة إليه وضمن أنماطه الفكرية، وكيف يجب أن ينعكس ذلك فى حياته؟ إن مستقبل إرساليات التنصير إلى المسلمين ومستقبل الكنيسة فى الأراضى الإسلامية يتوقف بدرجة كبيرة جداً على كيفية إجاباتنا على هذه الأسئلة.

خلاصة بتعقيبات المشاركين

كانت استجابات المشاركين تجاه بحث **دكتور هايبرت** واضحة وعميقة، كما كانت معظمها على اتفاق جوهرى وإلى حد كبير مع مواقفه، وشعروا أن بحثه شكل مدخلاً ممتازًا لوقائع المؤتمر، ومع ذلك فقد كانت هنالك مجموعة من الأسئلة والتعليقات والنقد أظهرت درجة عالية من الاهتمام إضافة إلى آراء عديدة أحدثت تخصيبًا فكرياً متبادلا ومحفزًا، وهذه الخلاصة وكذلك خلاصة التعقيبات على كل بحث من أبحاث المؤتمر سوف تركز على الأسئلة والنقد أكثر من إعادة تكرار الآراء المتفق عليها.

أثارت مناقشة دكتور **هايبرت** حول الحاجة إلى ترجمة **الكتاب المقدس** إلى صياغات فكرية جديدة الكثير من الاهتمام، وقد تساءل أولئك الذين أرسلوا تعقيباتهم عن كيفية اختيار معنى الرسالة فى ثقافة أخرى للتأكد من أنه قريب قدر الإمكان من المعنى الأصلى (لاحظ أن المؤلف قد أجاب على هذا) وسأل أحدهم فيما إذا كان معنى الرسالة سوف يتغير عندما يترجم إلى صيغ فكرية جديدة كما يقترح دكتور **هايبرت** أم أن المعنى سوف يبقى ثابتًا بينما تتغير الصيغ.

أما فيما يخص معالجة دكتور **هايبرت للإصحاح الخامس عشر** من **أعمال الرسل**، فقد كتب البعض ما يلى: «إن الرسالة صحيحة لكن النص المنشود خاطئ» وأضافوا أن **الإصحاح الخامس عشر** من **أعمال الرسل** «لا يمثل حقاً ما يحدث للمسلمين»، وأن دكتور **هايبرت** يحشر الإصحاح فى قالب ثقافى للكتاب المقدس كما أن النص لا ينطبق على الواقع لأن اليهود فى الحقيقة كانوا جزءًا من الثقافة نفسها، وقد قال البعض: إن «قضية الإصحاح الخامس عشر ليست فيما إذا كان يمكن التعبير عن **الكتاب المقدس** بغير لغة الختان والمحافظة على السبت ولكن فيما إذا كانت الصيغ الثقافية للختان واتباع كافة العبادات والاحتفالات اليهودية هى الطرق الوحيدة التى يمكن التعبير بواسطتها عن **الكتاب القدس**».

وكان النقاش الذى جرى حول السؤال الأول الذى أورده البحث وهو: «هل يمكن لفلاح أمى أن يصبح نصرانياً بعد أن استمع إلى **الكتاب المقدس** لأول مرة»؟ نقاشًا هاماً بصورة خاصة، ومن الجدير بالملاحظة فإن أولئك الذين عقبوا على هذا السؤال كانوا منقسمين بصورة متساوية، فقد قال أولئك الذين كان تعقيبهم إيجابياً ما يلى:

- «بالتأكيد يمكن هذا فقد حدث ذلك باستمرار فى **العهد الجديد**».
- «يوجد فى العالم الإسلامى اليوم الكثير من أمثال الكوشى المخصى».
- «نعم إذا كان **الروح القدس** قد شرح صدره لذلك».
- «نعم ولكن هذا بالطبع سيكون عملية مستمرة».

- «نعم ولكن ذلك مثله مثل حبة مزروعة لن تنضج دون رعاية وعناية، فإذا لم يستمع مرات ومرات أخرى إلى **الكتاب المقدس** فقد ينزلق ثانية نحو طريق قديمة».

- «نعم، شرط أن تقدم رسالة **الكتاب المقدس** فى صيغتها النقية دون أن تثقل عليها إضافات ثقافية لا علاقة لها بالموضوع».

أما أولئك الذين أجابوا سلبًا فقد قالوا:

- «إن إمكانية حصول مثل هذا التأثير فى مثل هذه الحالة بعيدة الاحتمال بدرجة كبيرة، وإذا تم هذا فإن الخوف والخجل من الصلاة علانية سوف يمنع التجاوب».

- «كلا فهو لن يدركها حتى كرسالة نصرانية».

- «يجب أن نفترض أن التنصر سوف يتم عبر مرحلة طويلة من الزمن».

وقد اتخذت بعض الردود الأخرى موقفًا وسطيًا:

- «إن الرب يتمكن من تحويل الفلاح بعد سماعه للكتاب المقدس لأول مرة ولكنه لم يشأ أن يفعل ذلك».

- «إن وجود منصر واحد يعظ الفلاح يشير إلى وجود مشكلة فكيف يعرف المسلم الجماعة دون أن يرى عملها وتأثيرها»؟

وأخيرًا أثار بحث **دكتور هايبرت** العديد من الردود المختلفة حول القضية العامة، وهى العلاقة بين **الكتاب المقدس** والثقافة. وقد شعر أحد الأشخاص أن المؤلف قد ابتعد عن الهدف حيث إن «العالم كله يتحول وبسرعة إلى ثقافة واحدة» كما أكد آخر «إن المنصر الذى يتكيف قد لا يحقق نجاحًا أكثر من المنصر الذى لا يفعل ذلك».

وعلى أى حال فقد كانت معظم الردود أكثر حساسية حول أهمية قضية الثقافة وأثنت على معالجة **دكتور هايبرت** للموضوع، والتى اتسمت بنفاذ البصيرة والعمق. ولقد كان هنالك تفاعل فكرى عميق حول الأشياء التى يريد الرب من المسلمين أن يتخلصوا منها، وحول انتمائنا أو عدمه إلى نفس العائلة التى ينتمى

إليهـا الإسلام، وفيمـا إذا كان على المسلم المتحول أن يؤمن برب جـديد، وحول طبيعة الكتاب المقدس وبيئاته الثقافية المختلفة.

رد الكاتب على تعقيبات المشاركين

إن غرض الـبحث الأسـاسى هو إثارة العديد من التـساؤلات التى لـها عـلاقة بالموضوع وليس تقديم الإجابة عليها، حيث إن القيام بهذا يعتبر تجرؤًا وخاصة فى مجالات معـقدة مثل إيصال الكتاب المقدس إلى مختلف الثـقافات، ولكن طرح الأسئلة المناسبة والصحيحة ليس عـملاً سهلاً أو غير ذى صلة بالموضوع، حيث إن نسبة كبيـرة من الموارد البشرية وغيرها قد استهلكت فى الإجـابة على أسئلة خاطئة وغير ملائمة.

لقد وضح من الردود أن السؤال الأول «حول احتمال أن يولد شخص أمى مثل أحمد الفلاح الباكستانى ولادة جديدة بعد أن يستمع إلى الكتاب المقدس مرة واحدة فقط «هو أكثـر من كونه سؤالا منمقًا أو مـتكلفًا. فالبعض يعتـقد بإمكانية ذلك، وآخرون يعتقدون بعدمه بينما يثير البعض مسألة الواقعية، فحيث إنه نادرًا ما يصبح المسلم نصرانيًا لدى سماعه الكتاب المقدس لأول مرة فقد شعروا أن القصة لا علاقة لها بالموضوع، بينما أشار البعض الآخـر إلى أن هذه الحالة هى بالضبط ما سبق أن لمسوه بأنفسهم. لم يكن القصد من إيراد قصة أحمد إثارة مسألة الواقع رغم أنه من المؤكد أن تذكرنا بأننا نتعامل مع أناس حقيقيـين فى ظروف حياتية واقعية لا يعتمد مصيرهم على اتفاقنا حول قضايا تنصيرية، بل لقد تم استخدام قضية أحمد لإثارة مسـألة لاهوتيـة وتصورية عن طريق خلق حـالة متـطرفة تكشف الهـيكل الظاهر للمسـألة. حيث لا يوجـد صعوبة عـادة فى معـالجة «الحالات العـادية» لكن هذه الحالات تغطى عادة على القضايا الأساسية.

أما فى «الحالة المتطرفة» والتى يصعب جداً حلها، يجب علينا أن نصارع القضايا الخطيرة، وفى حالتنا هذه يجب أن نتصـارع مع ما تعنيه «الولادة مجددًا أو الولادة ثانيًا» فإذا استطعنا الوصول إلى حل لقضيـة أحمد فلن تواجهنا إلا صعوبات قليلة فى الحالات الاعـتيادية، ولا يهـدف البحث من وراء إثارة مـسألة الكتـاب المقدس

والثقافة إلى وضع حـد فاصل بينهما، حيث إن القيـام بهذا فى هذه المرحلة سوف يجعلنا نغرق فى مناقشة التفاصيل قبل أن نتمكن من معالجة الإطار العام.

يجب علينا أولا أن نتفق على أن مسألة **الكتاب المقدس** والثقافة والعلاقة بينهما هى مسألة وثيقة الصلة بالموضوع. ولكن ألا يعنى هذا أننا نثير التساؤل حول قضية واضحة؟ قد يكون الأمر كذلك ولكنى لا أعتقد ذلك لأسباب:

أولا: من الواضح أن أولئك المتكيـفين لاهوتيّـاً لم يأخذوا تضمـينات الثقـافة بالجدية اللازمـة مثلهم تمامًـا مثل أولئك الذين تكيفـوا استنادًا إلى مـا طرحه علم الأجناس البشرية والذين كانوا متعجرفين أكثر مما يجب فى موقفهم تجاه اللاهوت.

وثانيًـا: أخذت الأبحـاث فى مجـال علم الأجناس البـشرية تكشف لنا كـيف تشكل الثقافات أفكارنا بعمق، وهذا يثير مسائل عميقة جداً يجب علينا مواجهتها، ومن المؤكد أنه يوجـد تشابه أساسى ومهم بين الناس جـميعًا، ولكن الاخـتلافات هى التى تخلق المشاكل التى تواجهها إرساليات التنصير.

فقضية التباين الثقافى هى عبارة عن سلاح ذى حدين. لقد أدركنا بصورة مؤلمة الاختـلافات الموجودة بين أولئك الذين نسـعى إليهم، ولكن ينبـغى علينا أيضًا أن ندرك المدى الذى صاغتنا به ثقـافتنا، وهذا يمكن توضيحه بمثال بسـيط، فالغربيون المتأثرون بمنطق أرسطو يمـيلون إلى التفكير بلغـة «المجاميع المحددة»، فعلـى سبيل المثال يفكر هؤلاء فى مجموعة «النصارى» على أنهم مـجموعة من الناس يشتركون بحد أدنى من الخـواص العامة (التى هى جـوهرية للشخص والتى تعرف بعـبارات عقـائدية)، إضافة إلى ذلك فـإن النصارى ينظر إليهم جـميعًـا على أنهم «نصارى بشكل تام» ومتمـيزين على غير النصارى، وتحدد هذه المجمـوعة بواسطة الفواصل التى تفرق بين النصارى وغير النصـارى والتى من الضرورى الحفاظ عليها من أجل المحافظة على تميز المجموعة.

وإذا فكرنا بلغـة المجـاميع المحـددة فإن الـتنصيـر يعنى إدخـال الناس فى دائرة النصارى والتنصـير يعنى عبـور الحد، وعندما يصبـح المرء داخل الدائرة ينظر إليه على أنه نصرانى تمامًا، ورغـم أن النمو مرغوب إلا أنه ليس جزءًا أسـاسيًا فى بناء

الطبقة، ويبدو أن ثقافات أخرى تستخدم مبادئ أخرى لتعيين مجاميعها، وعلى سبيل المثال يستخدم كل من الفكر العبرى والعربى بصورة موسعة «المجاميع المحددة»، وفى مثل هذا الفكر تصنف الأشياء بالنسبة للاتجاه الذى تسير عليه، أى باتجاه المراكز التى تندفع إليها.

وبهذا المفهوم فإن النصرانى هو ذلك الشخص الذى يتجه إلى المسيح، ويوجد أولئك الذين هم على «مقربة من المسيح» من حيث إنهم يعرفون الكثير عنه ولكنهم لا يجعلونه مركز اتجاههم أو رباً لهم، ولهذا فهم ليسوا نصارى. وإذا كنا نفكر بلغة المجاميع المتمركزة فإن التنصير هو «الاستدارة» والاتجاه نحو مركز جديد، ولكن «الاستدارة» ليست خاتمة المطاف حيث على المرء الاستمرار بالتحرك فى اتجاه المركز، ولهذا فالنمو هو جزء أساسى من بنية المجاميع المركزية، ومن جهة أخرى وبينما يوجد حد واضح بين أولئك المتجهين إلى المسيح والمبتعدين عنه فإنه توجد حاجة أيضًا إلى الحفاظ على الحد وتأكيده من أجل صيانة المجموعة، أما الشىء الأساسى فهو صيانة المركز.

وباختصار توجد حقيقة موضوعية تدعى «الولادة الجديدة» والرب يعرف من هم رعيته. ولكن علينا نحن الذين ننظر نظرة قاتمة عندما نسعى إلى توضيح ما نعتبره نصرانياً أن نحدد ذلك ليس فقط بلغة اللاهوت أو بلغة المعانى والصيغ الثقافية، ولكن بلغة الأنماط الفكرية العميقة التى نستخدمها.

●●●

المراجع

Geertz, Clifford

1973 **The Interpretation of Cultures.** New York: Basic.

Guthrie, Donald

1969 "Galatians", **The Century Bible**. Thomas Nelson and Sons.

Hiebert, P.G.

1976 **Cultural Anthropology**. Philadelphia: J.B. Lippincott.

Kuhn, T.S.

1970 **The Structure of Scientific Revolutions**, 2nd edition. Chicago: University of Chicago Press.

Machen, J. Gersham

1947 **Origin of Paul's Religion**. Grand Rapids: Eerdman Publishing Company.

●●●